... بماذَا نُجيبُكَ يا رسُولَ الله؟!...

بعد انتهاء غزوة حنين ، ثم انتهاء غزوة الطائف ، وذلك في السنة الثامنة للهجرة ، وزّع رسول الله ﷺ الغنائم ، وكانت كثيرة جدّاً:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أعطىٰ رسول الله ﷺ ما أعطىٰ من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء وَجَدَ هذا الحيّ من الأنصار في أنفسهم ، حتىٰ كثرت منهم القالة[1] حتىٰ قال قائلهم: لقي والله رسول الله قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال: يا رسول الله ، إن هذا الحيّ من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعتَ في هذا الفيء الذي أصبْتَ ، قسّمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكُ في هذا الحيّ من الأنصار منها شيءٌ.

قال: «فأين أنتَ من ذلك يا سعد؟» قال: يا رسول الله ، ما أنا إلاّ من قومي ، قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة» قال: فخرج سعدٌ فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: «يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم؟ وجِدَةٌ[2] وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلاّلاً فهداكم الله ، وعَالَةً فأغناكم الله ، وأعداءً فألّف الله بين قلوبكم؟» قالوا: بلىٰ ، الله ورسوله أمَنُّ وأفضلُ.

ثم قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟» قالوا: بماذا نُجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المنُّ والفضل.

---

(١) هو: اسم للقول الفاشي بين الناس.

(٢) وجَدَ عليه جِدَة: غضب.

قال صلوات الله عليه: «أما والله لو شئتم لقُلتم فلصَدَقتم ولصُدّقتم: أتيتنا مُكذّباً فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك! أوَجَدْتُم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لُعاعةٍ[1] من الدنيا تألّفتُ بها قوماً ليُسلموا ووكلتُكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلىٰ رحالكم؟ فوالذي نفس محمدٍ بيده لولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار، ولو سَلَكَ الناس شعْباً وسلكت الأنصار شعْباً لسلكتُ شعْب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

قال: فبكىٰ القوم حتىٰ أخْضَلُوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسْماً وحظّاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرّقوا[2].

أجل يا نبي الرحمة يا رسول الله!.

صلّىٰ عليكَ الذي أعطاك منزلةً شفيعها في مقام الحُرِّ مقبولُ

* * *

(١) أي: البقية اليسيرة.

(٢) صحيح البخاري: ٥/ ٢٠١، تاريخ الطبري: ٣/ ٩٣، سيرة ابن هشام: ٤/ ١٦٤.